

## الامبراطورية الآسيوية

هل نصح مقيّم تاريخية

بقلم جورج حداد

لقد صرت على القارة الآسيوية قروناً ازدهرت فيها  
امبراطوريات عديدة ، ووحدت قسماً غير يسير من هذه القطعة  
من الأرض ، ولا تقتصر في ذكر هذه الامبراطوريات على ما قام  
منها في العالم القديم . كأمبراطورية البابليين ، والأشوريين ،  
والفرس ، وإنما هنالك دول امبراطورية واسعة نشأت في المصور  
الوسطى بعد سقوط دولة الرومان وأهمها الامبراطورية العربية  
التي سيطرت على آسيا الغربية والوسطى ، وامتدت إلى حدود  
الصين ، وهكذا كانت القارة الآسيوية إذ ذاك تحكمها  
امبراطوريتان كبيرتان امبراطورية أبناء ماء السماء ( الصين ) في  
الشرق ، وامبراطورية أبناء يرب في معظم القسم الباقي .  
انقرضت بعد ذلك امبراطورية العرب وضممت امبراطورية الصين  
وتغيرت حالها وبدأت المصور الحديثة نحدثنا عن قيام امبراطورية  
يابانية كانت قليلة الشأن حتى منتصف القرن الماضي ، ومن ثم  
أخذت تزدهر وتنمو حتى ليخال المطلع على شؤونها أنها ستبني  
امبراطورية آسيوية لم يعرف التاريخ لها مثيلاً

إن حكاية تقدم اليابان والحق يقال حكاية عجيبة وأهيب  
ما فيها تلك السرعة التي قضت فيها على نظامها القديم منذ ثورة  
١٨٦٨ الدستورية ، وأنشأت لنفسها قوة حربية في البر والبحر  
حتى أصبحت تضاهي أعظم دول الأرض ، وكذلك يدهشك  
نجاحها في إنشاء قوة صناعية لا تقل عن قوى أمم دول أوروبا  
وأمریکا الصناعية اليوم . ثم نجاحها في مناوأة جارتها الكبيرتين  
الصين والروسيا ، واكتساحها قسماً من ممتلكاتهما . فروسيا  
القيصرية والصين الامبراطورية قد هجزتا بين أواخر القرن  
الماضي وأوائل القرن الحاضر عن سد هجوم اليابان فأعطتها  
الأولى نصف جزيرة سخالين وبور آرتر ، وأعطتها الثانية  
جزيرة فورموزه مع منحها شبه جزيرة كوريا الاستقلال ، وكان  
استقلال كوريا خطوة نحو استيلاء اليابان عليها . فلم تأت سنة  
١٩١٠ إلا وكانت حكومة الميكادو صاحبة الأمر فيها ، ولم تنته

الحرب العالمية وتوقع معاهدة فرساي إلا وكانت اليابان قد و  
يدها على بعض مستعمرات الألمان السابقة في المحيط اله  
وأصبحت من الدول الكبرى التي يحسب لها حساب في الس  
العالمية وخصوصاً في المحيط الهادئ  
لم تقف مطامع اليابان في القارة الآسيوية عند حد الامة  
على كوريا وبعض الجزر فهي عدا شعورها الوطني التي  
وعزبتها القومية تشمر بحاجة إلى التوسع ، وبالنسبة تشبه  
انكارتا وجميع الدول الصناعية الكبرى . فسأحة جزرها  
تقريباً مساحة الجزر البريطانية ، وعدد سكانها يزيد على  
سكان بلاد الانكليز ، وما تنتجها اليابان من المواد الغذائية  
لا يكفيها ، كما أنه ليس فيها من المواد الأولية ما يكفي حاج  
صناعتها . فكوريا هي مركز تصدير الأرز إلى اليابان ، ومنش  
التي كانت من ملحقات الصين منذ ثلاث سنوات غنية بالمد  
وهذه حوادث السنوات الأخيرة قد أرتنا كيف آمنت حكم  
الميكادو منشوريا ، وأرسلت جيوشها إليها وتمكنت من فص  
تماماً عن الصين ، وإقامة حكومة مستقلة فيها تحت نفوذها  
وهكذا أتبع لها أن تسيطر على خمسين مليوناً من النفوس  
منشوريا وكوريا ، بينهم قسم من رعاياها اليابانيين ، والواصل  
سريعة والملاقات متينة بين هذه الملحقات البرية وجزر اليابان  
واليوم هل وقفت مطامع اليابان عند هذا الحد ؟ إن حوادث  
هذه الأيام تجيبنا بالنفي ، وماذا يريد اليابانيون إذا ؟ إنهم يريدون  
انفصال المقاطعات الخمس في شمال الصين عن حكومة نانكين  
فتقيم حكومة مستقلة كما حصل في منشوريا وتقبل ضراقتهم  
ونفوذهم ، وأخيراً قد تطلب هذه المقاطعات الحكومة اللكية  
فتقبل حكم امبراطور منشوريا الحالي الذي كان امبراطور الصين  
كلها في عام ١٩١١ . عندئذ يتم تشكيل امبراطورية كبرى من  
منشوريا والمقاطعات الخمس يبلغ عدد سكانها ١٢٠ مليوناً من  
النفوس ، وتحميها الدولة اليابانية ، وبعد مدة قد يذكر امبراطور  
منشوريا حكومة نانكين الجمهورية بأن الصين كانت موحد  
في المصور السابقة فيزحف بجيوش منظمة تعضدها حكومة  
اليابان على نانكين ، فيتم وضع أيدى اليابان على بلاد الصين كلها ،  
ولا يفرح من الذهن أن الصين كانت قديماً تحكم تركستان  
الصينية والتبت وتسمى عدا منشوريا وكوريا ومنغوليا الهند

١٩١٩ ، غير أن روسيا تحمقت بأن قلب تلك الداهيات لا يأتي إلا بعد حرب لا تعلم إذا كانت تسفر عن نتائج أحسن من نتائج الحرب الماضية . فهي اليوم تريد السلم وهذا ما تريده انكلترا أيضا . وقد أصبحت مدفوعة بسياسة اليابان الهجومية إلى التفتيش عن صداقة دول ذات مصالح في الشرق الأقصى .

والتعاون بين بريطانيا العظمى وروسيا يقي بمصالح الدولتين خصوصا لأن تلك المصالح لا تصطدم اليوم على طول الخط الممتد من البلطيق إلى الشرق الأقصى . فقد انقضى عهد مطامع القيصرية في القسطنطينية وأجزاء الدولة العثمانية وزال النزاع بين انكلترا وروسيا في خليج فارس وأفغانستان . وليس لروسيا مطامع في الهند اليوم لأنه ليس لها أسواق تجارية فيها إن كان في الصادر أو في الوارد ، وكذلك ليس لها رؤوس أموال تثمرها هناك . والروسيا تهتم بأنهاض قواها في الداخل قبل كل شيء ولذلك تحتاج إلى السلم . وأما في الشرق الأقصى فإنها تريد ضمان وحدة الصين ، وسياستها هناك تشبه سياسة انكلترا في الدولة العثمانية في القرن الماضي . فهي تنظر بين الهند كما تنظر انكلترا أيضا - إلى توسع اليابان على حساب الصين

إن وزارة الخارجية الانكليزية اليوم تريد أن تعوض عن خطيئتها في سياستها نحو روسيا منذ عشر سنوات . فالخطر اليابان الذي لم تنشأ حكومات انكلترا السابقة أن تراه والخوف الذي يهدد مستعمرات انكلترا لم يعد مجرد خرافة . إن اليابان اليوم تتسلط على ثلث الامبراطورية الصينية السابقة وهما قريب ستبدأ الحرب الحقيقية بين انكلترا واليابان في آسيا الوسطى حيث تدافع اليابان عن استقلال الأمة الصينية وتطالب انكلترا بإعطاء الصين ما أخذته منها . وسوف لا تقف عند هذا الحد ، بل ربما وضعت أساسا لسياستها هذه العبارة التي بدأ رجال السياسة في اليابان يرددونها وهي « آسيا للأسويين » كما وضع الرئيس منرو منذ أكثر من قرن خلا مبدأ لسياسة حكومة الولايات المتحدة « أمريكا للأمريكيين » واليابانيون ماضون في تنفيذ برنامجهم وعند ما يصبحون على أبواب « كاشغار » في تركستان الصينية ، لا يصعب عليهم الهجوم على الهند

ومن المحقق أن انكلترا لا تقف مكتوفة اليدين أمام هذه الأخطار ، فهي تقوم بتحصين سنغافورة ، وستدفع عن ذلك

صينية أيضا ، فهل تفكر اليابان في ضم هذه كلها إلى امبراطوريتها لواسعة ؟ إنها بدون أن تضم هذه المقاطعات تكون بعد أن يتم ستلاؤها على ما يعرف بالصين الأصلية قد حكمت امبراطورية يزيد عدد سكانها عن ربع سكان العالم ، وتكون امبراطوريتها في قارة واحدة غير مجزأة منتشرة أقاليمها في جميع القارات كالأمبراطورية البريطانية

إن سياسة اليابان سوف لا تتغير . فقد أرادت منذ ١٩١٥ أن تفرض حمايتها الاقتصادية والسياسية على الصين ، ولكنها فشلت . إلا أنها واصلت جهودها فتوصلت في السنوات الثلاث الأخيرة إلى نتيجة باهرة ، وقد تنوصل إلى أكثر من ذلك بمد بضعة شهور . إن مطالبه زعماء المقاطعات الخمس في شمالي الصين هو تشكيل هيئة تسمى المجلس السياسي الشمالي للجمهورية الصينية له استقلاله الإداري ويشبه مجلس منغوليا المستقل ، ويكاد يتم انفصال هذه المقاطعات عن الصين وعلى هذا المبدأ ، ولكن تحت سيطرة حكومة طوكيو اليابانية . وسهما يكن فإن اليابان مستعدة أن تبذل جهودا جبارة لتحقيق برنامجها في الصين . غير أن الولايات المتحدة ذات قوات كبرى في المحيط الهادي وجيوش روسيا السوفيتية بالرصد على نهر الآمور وأسطولها رابض شرق فلاديفستك

هذا وقد لوحظ مؤخرا شيء من التطور في العلاقات بين بريطانيا العظمى وروسيا نظرا لمصالحهما المشتركة في الشرق الأقصى ، وهذا التقارب بين الدولتين الكبيرتين يمد من أشد الحوادث بروزا في السياسة الدولية . فاليوم قد تبدلت الحال بين الدولتين وزال ذلك التنافر في مصالحهما إن كان في جهات بحر البلطيق أو في جنوب شرق أوروبا ، وفي الشرق الأدنى والهند والشرق الأقصى . فقد كادت مطامع روسيا القيصرية في الماضي تؤدي إلى الحرب مع انكلترا نظرا لاحتكاك مصالحهما أكثر من مرة في تركيا وفارس وأفغانستان وعلى حدود الهند ، ولكن الخطر الألماني الذي كان يهدد الدولتين هو الذي أجبرهما على تناسي المداوة وحملهما قبل الحرب الكبرى على الاتفاق سويا ضد حكومة برلين . وعادت العلاقات بمد الحرب الكبرى فسامت بين الدولتين لأن خطر الشيوعية الآن من موسكو مال بريطانيا العظمى ، ولأنه كان من رأى روسيا إعادة النظر في معاهدات